إن نشاط الحياة العادية، والانشغالات اليومية للأفراد حظيت بحضور دائم ومستمر في ثنايا الأشعار التي أنتجتها تلك البيئة الأمازيغية التقليدية فمن الباحثين من يرى« **أن الحياة اليومية للأفراد في مستوياتها البسيطة والمعقدة كالطبيعة الإنسانية و العادات ، قد سجلها شعر القرن الثامن عشر بكل أمانة وبشكل دقيق ومفصل** »[1]

شعر المناسبات الاجتماعية(Tamedyazt n tmetti)

تقف القصيدة الأمازيغية القديمة بالرصد والتحليل لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية،بالصورة التي يفرضها المستوى الفكري والمعيشي للأفراد، وحسب البروفيسور "محمد جلاوي" فإن الدارس للإنتاجات الشعرية القبائلية القديمة ، يمكنه أن يستخلص من دون عناء محورين أساسيين تدور في فلكها **الموضوعات الاجتماعية**:[2]

1-يتلخص المحور الأول في الوضعيات المختلفة المعايشة من طرف الأشخاص في حيواتهم اليومية كالفقر والغنى، اليتم والأيتام، الضياع والحرمان، الغربة والاغتراب، الزواج والطلاق...

2-أما المحور الآخر فيتضمن قيم المجتمع ومبادئه التي عرفها المجتمع القبائلي منذ أقدم عهوده،والتي تمثل الإطار الأخلاقي وكذا التربوي في النسيج التعاملي والحياتي للأفراد والجماعات.

أولا:الوضعيات الحياتية المعايشة

1-يأتي موضوع الغربة والاغتراب موضوعا أساسا شغل حيزا واسعا في طيات القصيدة الأمازيغية التقليدية،لما لهذه الظاهرة الاجتماعية من أبعاد حياتية تتماشى وطبيعة الظروف المعيشة القاسية التي مست شرائح عريضة من المجتمع، إذ انتهجها الأفراد حتمية ظرفية طارئة :كوسيلة بحث عن الاستقرار والأمن من جهة، أو السعي وراء الرزق والكسب من جهة أخرى.

ولهذا نجد الشعراء تجود قرائحهم بمادة غزيرة وثرية، إذ تمكنت الأبحاث والدراسات التي قام بها بعض الكتاب والباحثين من جمع العديد من النصوص الشعرية من مختلف مناطق بلاد القبائل، ولابأس أن نذكر منها: "سي عمر بن سعيد بوليفا" ومؤلفه مجموعة من القصائد القبائلية، الذي يضم في فصله الأول حشدا من النصوص الخاصة بالشاعر سي محند أو محند وجمعا آخر من الأشعار في فصله النخر مجهولة القائل[3]

---

[1] Y,Nacib,Anthologie de la poésie Kabyle,p63

[2] ينظر، د.محمد جلاوي،تطور الشعر القبائلي وخصائصه(بين التقليد والتجديد)،ص338

[3] ينظر المرجع السابق،ص339

إضافة إلى أعمال مولود معمري، سيما كتابه الذي يضم أشعار الشاعر سي محند أو محند ، ومؤلفه الذي تناول فيه دراسة مفصلة حول الثقافة في بعديها العلمي والمعيشي Cultre savante,Culture vécue

بحيث أورد هذا المرجع الثاني دراسة مقتضبة حول ظاهرة الغربة في المجتمع القبائلي التقليدي بالاستناد إلى نصوص شعرية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، إضافة إلى مؤلف جان عمروش تحت عنوان أغانِ بربرية من منطقة القبائل ،خصص فيه فصلا كاملا لشعر الغربة في البيئة القبائلية التقليدية ، أشعار وأغانِ من منطقة القبائل لمؤلفه ملك واري ، المدونة الشعرية لكمال بوعمارة المرفقة لبحثه الأكاديمي الخاص بنيل شهادة الدكتوراه حول الشاعر سي البشير أملاح (1861-1990)الذي خصص جزءا من مدونته لشعر الغربة تحت عنوان همّ الغربة-Taluft n yinig

2-موضوع الزواج :

ينقل هذا الموضوع وجها آخر من الانشغالات الحياتية واليومية للمجتمع الأمازيغي القديم، إذ يحظى بأهمية قصوى في الأوساط الاجتماعية التقليدية، نظرا لما له من دور أساس في صون شرف الأسر وأعراضها.

يدلي الباحث "إميل ماسكوراي[4] بشهادة حية حول حقيقة الزواج وأبعاده في المجتمع القبائلي التقليدي، حين يصرح بالقول إن للقبائل فكرة دقيقة وصائبة عن العلاقة الزوجية، حيث إن الفرد القبائلي يرى في المرأة تلك الشريكة التي تقاسمه صعاب الحياة وأفراحها، بل أسمى من ذلك بكثير، إذ تعد في نظر العامة أساس كل نجاح في الكفاح الحياتي، حيث تسهر على ضمان تواصل النسل واستمرار سلالة الأسرة ، وتساهم في تطوير العرش وتوسيع رقعة القبيلة.ونظرا لهذه الأبعاد المرجوة من الزواج كقران مقدس، يحتاط له الأفراد ، في كثير من التدبير والتروي، ويؤسسون له كل أسباب النجاح.وهذا ما يلخصه المثل السائر:

Zzwağ n yiwwass fell-as aḥebber n useggas

زواج يوم عليه تدبير عام.

ثانيا:قيم المجتمع ومبادؤه:

[4] ينظر محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي ،ص 350

لقد عالج الشعر الأمازيغي التقليدي كل المبادىء والقيم التي عرفها المجتمع منذ أقدم عهوده، والتي تمثل الإطار الأخلاقي والتربوي في النسيج التعاملي والحياتي للأفراد والجماعات، إذ وجد فيها الشاعر مادة خصبة وغزيرة، ساعدته على تفجير طاقاته الإبداعية.

وقد اتخذت المعالجة لهذا الموضوع، وجهتين متباينتين، أملتهما التغيرات الجوهرية التي شهدها المجتمع القبائلي منذ مطلع القرن التاسع عشر ، هذه التغيرات التي أحدثت نقلة تحولية عميقة في الأطر التنظيمية والتسييرية للمجتمع القبائلي، وكان لذلك بالغ التأثير على الحركة الشعرية التي واكبت هذا التحول ورصدت تغيراته بشكل أمين.

الوجهة الأولى: تبرزها المادة الشعرية المنتجة ضمن النظام القبلي العريق المسير لشؤون منطقة القبائل قبل الحربين(1857-1871)، وتظهر هذه المادة اعتزاز الشعراء بالقيم السائدة، والسعي إلى تلقينها للأفراد،والتصدي لأي خرق قد يحدث في نسيجها.

الوجهة الثانية: تعكسها المادة الشعرية المنتجة في عهد الإدراة الفرنسية،بسلطتها المركزية الباسطة لنفوذها وجبروتها على منطقة القبائل، إثر الخضوع العام بعد 1871،إذ تظهر أشعار هذه الفترة تلك البكائية والتحسر التي يدلي بها الشعراء في طيات قصائدهم على ما آلت إليه قيم مجتمعهم العريق، وما تعرضت له مبادؤه من انتهاك وخروق لا توصف.

ففهي عهد النظام القبلي شكلت القيم و المبادىء، في صورتها الكاملة،جوهر الدلالة الفكرية والروحية للفظة "تقبيليت"Taqbaylit ،هذه اللفظة التي كثر استعمالها وتداولها في الأوساط الاجتماعية المختلفة لتلك الفترة.

هذا المصطلح الاجتماعي الذي تنضوي تحته مجموعة هائلة من القيم والمبادىء ، التي تعتبر بمثابة العصب النابض لحياة المجتمع بأكمله،فقبائلية القبائلي لا تعني فقط اللغة كما قد يفهم من هذه العبارة، هي أشمل من ذلك : هي الخلق العظيم والسلوك القويم، الشرف والمروءة...[5] مثلما نطلق بمفهم أعم كلمة ثيمّوزغاTimmuzgha وتعني أنفة وإباء الأمازيغي الرجل النبيل، ومثلما نطلق مصطلح ثيروقزا Tirrugzaونقصد بها الرجولة الحقة والمروءة للأمازيغي أو الأمازيغية على حد السواء.

شعر المقاومة والثورة:Tamedyazt n wazbu d Tagrawla

المقاومة الشعبية بأبعادها السياسية والأيديولوجية عرفتها مختلف مناطق الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي ،إذ توالت المقاومات الشعبية• بشكل تصاعدي توازي رغبة هذا الدخيل

---

[5] ينظر ، د. محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي، ص 360

• لقد توهّم المستعمر الفرنسي بعد حالة من الركود التي كانت تخيّم على الشعب الجزائري بعد انطفاء جمرة الثورات الشعبية المتتالية(ثورات الأوراس الأولى عند وصول المستعمر إليها :الأولى(1858،والثانية 1879 والثالثة(1916) ثمّ ماتلاها من مقاومات (أحداث 8 ماي 1945 إلى غاية 1954)، توهّم أنّه قد قضى ،وإلى الأبد، على روح النضال والمقاومة فيه،ولم

الأجنبي في الاستيلاء على كل ربوع القطر الوطني، ولكن إن حقق بعض ماربه في أجزاء متفرقة من بلاد الجزائر الواسعة، فإن منطقة القبائل بطابعها الجغرافي المميز، وبمؤسساتها التنظيمية القبلية الخاصة ،تبقى بعيدة المنال عن كل طارق أجنبي يرمي إلى خرق حرمة مقدساتها الأزلية، الموروثة عن الأسلاف منذ عدة قرون خلت.

ولقد كان الشاعر القبائلي في ما أبدعه من قصائد ، والتي واكب من خلالها الثورات الشعبية المتتالية شاعرا ملتزما،أثبت مساندة مطلقة لأبناء أمته، بحيث ارتبط بشكل وثيق بما يدور في بيئته من أحداث ووقائع.يشير التلي بن الشيخ في دراسته عن دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة ، إلى أن الشاعر الشعبي عموما«**لا ينظم شعرا تصوريا يختلق فيه معارك وهمية ، أو ينتحل نصرا زائفا ، ويتوهم نفسه فارسا يهزم الأعداء ، وإنما كان الشاعر الذي يخوض المعارك بسيفه ، ويسجل الانتصار بأمانة ، مثلما يصف الهزيمة بألم، وحسرة فيحدثنا عن الأبطال بطريقة نحس فيها نبل المشاعر، وحرارة العاطفة والابتعاد عن الروح الذاتية، وقد وجدت الطبقات الشعبية في الأدب الشعبي تصويرا لجراحها ، وتعبيرا عن آمالها ، وأمانيها ، فتناقلته الألسنة ، وحفظته الذواكر الشعبية ، وغدا ترديده يذكي الحماس، ويبعث النخوة ويوقظ الوعي الوطني»**[6]

ولا يخفى علينا أن كان الأوراس الأشم، وقتها، عين الثوّار وقلعة المجاهدين الشجعان ، منه تُضرب فرنسا، وفيه تُدحَر قوّاتُها،الجزائريون بكبريائهم وصبرهم أسقطوا أحلام فرنسا وثاروا ثورة الكرامة ينشدون الحرية والاستقلال،وأنتَ فوق جبال الأوراس تستنشق هواءً معبّقا برائحة الشهداء الزكية،وتلمس في كلّ جبل وهضبة وربوة وبقعة منه، بصمة شعب كافح ؛نساء ورجال أحبوا الوطن طالبوا بالحرية وصنعوا ملحمة أوّل نوفمبر 1954.

وعن هذا يقول ابن يزقن مفدي زكرياء:

ولم يُحْن أوراسُ هامَتَه *** ولا هدأت عاصفات الرّمال

ولااستسلمت جرجرا للمُغير،ولا أوهن العزمَ طولُ النّكال

فأمام هذا الدّرع الواقي، والحصانة المنيعة لهذا الجبل ،لاتجد فرنسا من وسيلة إلّا أن تتوسل طائراتها المحلّقة،لتلقي بآلاف الأطنان من القنابل المدمّرة والحارقة،بغية تدميره وحرق من احتمى به من الثوّار،فلايزيد ذلك في نفسية المجاهدين إلّا إصرارا وعزيمة، ولا يكسب الجبل إلّا صلابة وشموخا،وهكذا يلتقي الإنسان بالطبيعة في خندق واحد،يواجهان عدوّا واحدا،عدو الإنسان والطبيعة.

يدرك في غفلة انتصاراته المؤقتة، حقيقة تلك التحولات العميقة التي كان يعيشها الشعب الجزائري بفعل الوعيين الديمقراطي والسياسي ،اللذين كانت تغرسهما الأحزاب السياسية في نفوس الجزائريين وتُعدّهم للوثبة المرتقبة في غد موعود.•

[6] التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة ،1830-1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983،ص39- 40

كلّ هذا الفضل الذي ظلت جبال الأوراس تقدّمه للثورة والثوار،جعل اسمها يرتبط بتاريخها وحقّ للثوّار الانتساب لها ،بفخر واعتزاز،فنقول ثوّار الأوراس وثورة الأوراس ،ويصدق هذا أيضا على جبال جرجرة فكلاهما يحمل معنى الجزائر كبلد واحد موحّد،يجابه أعته قوّة متغطرسة عرفها تاريخ الإنسانية.

وعموما فإنّ سرّ هذا التقديس للأوراس، يكمن في ما تنمّ به معانيه -في مجملها- عن روح الانعتاق والخلاص،هذه الروح المتجذّرة فيه منذ غابر العصور (أيّام الأمازيغ الأحرار)فهو الشاهد على كلّ الثورات المتلاحقات التي شهدتها الجزائر عموما ومنطقتي الأوراس والقبائل خصوصا،عبر حلقات تاريخها المجيد.

وكلّ هذه المعاني تصيب الإنسان الجزائري بالانبهار كلّما ذكر اسم هاذين الجبلين،وإلى صور البطولة والفداء التي تتبادر إلى الذهن كلّما ذكر نضال المجاهدين الذين ضمّتهم معاقلهم،كما أنّ سرّ التقديس أيضا يكمن في هذه القمم الجبلية التي اختارها القدر لتكون مكانا لميلاد ثورة نوفمبر العظيمة،لتصبح بذلك جبال الأوراس وجرجرة تحمل تاريخ أمّة كافحت بكلّ مالديها من قوّة من أجل استرجاع الحرية والكرامة للإنسان الجزائري[7].

وعن أهمية الأشعار التي تناولت المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي نجد الباحث "سالم شاكر" يقول : «الأشعار التي تناولت موضوع المقاومة ضد المحتل الفرنسي ن تعد في غاية من الأهمية سواء أ من حيث الجانب الإثنولوجي أو من حيث الجانب التاريخي ، إذ تشكل وعاء معرفيا ينضح بسيل من المعلومات والمعطيات ، ويقدم وسائل عدة للفهم والاستيعاب»[8]

موضوعات شعر المقاومة والثورة:

أ-الحس الوطني:

طبعا الحس الوطني الذي يكشف عنه شعر المقاومة في هذه الفترة، لا يرقى إلى مستوى الحس الوطني، بالمفهوم الحديث، الذي تجسد بشكل واضح في فحوى الشعر الوطني أو الشعر الثوري ، وذلك انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الثانية، والفرق بينهما بيّن.

نجد الشاعر الأمازيغي في تلك الفترة يبدي مواقف رافضة وتمردية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، منذ أن وطأت أقدامه أراضي سيدي فرج .ويقدم الباحث "يوسف نسيب" الشاعر "الحاج المختار آث سعيد كأنموذج لهؤلاء الشعراء الذين تصدوا للغزو الاستعماري بهذا الإحساس الوطني الشامل ويذكره في موضعين من دراسته قائلا: «يحق بنا أن نذكر في هذا

ينظر، محمد جلاوي ،تطور الشعر القبائلي وخصائصه(بين التقليد والحداثة)الجزء الثاني،مطبعة الزيتونة،تيزي وزو،المحافظة السامية للأمازيغية،ص112- 120[7]

[8] Salem Chaker,Une tradition de résistance et de lutte ,la poésie berbère Kabyle ,un parcours poétique,p13

المقام أن الشاعر الحاج المختار آث سعيد من اث بوعكاشة كان من بين رؤساء زواوة الذين التحقوا بالجزائر العاصمة قصد التصدي للجيوش الفرنسية الغازية عام 1830»[9]

ب-الخلفية الدينية للمقاومة:

يقول "مولود معمري":« منذ الوهلة الأولى من اقتحام القوات الفرنسية أراضي سيدي فرج ،تأهب البعض من سكان القبائل للدفاع عن الجزائر في منظور الإيمان الشرك »[10]
يشرح البروفيسور "محمد جلاوي" هذا القول بأن الشاعر قد فهم مغزى هذا الخطاب ، وأدرك يقينا أن طبيعة الصراع القائم بين المستعمر الفرنسي وأبناء أمته في رحاب هذه الممارسة النضالية، ماهو إلا صراع أيديولوجي بالدرجة الأولى، أو بمعنى آخر صراع بين الكفر والإيمان.وقد تناقل الشعراء هذا الفكر الرافض لكل أشكال الطمس والسلب الذي تتعرض له أغلى مقدساته الأزلية،سيما منا دينه الحنيف، الذي تربت عليه إحساسته، ولا يرضى عنه أي بديل[11]

ج-وصف الجيوش والمعارك:

يجيد الشاعر الأمازيغي وصف وتصوير مايحدث من حوله من وقائع، سيما ما اتصل بالحروب والمعارك، إلى درجة يستطيع أن يقلب بوصفه السمع بصر، ويجعلنا نعايش الواقعة من جديد، فللثورة لسان صريح وجريء أخرس الأصوات المبحوحة،وأراح الحناجرة المتعبة وأعلن خطابها بشكل مسموع،فكانت لغة الرصاص أفصح من لغة الكلام ولغة السّلاح أبلغ من لغة البيان،على حدّ قول أحد الشعراء من الذين عايشوا فترة الثورة[12]:

الأحرار ملّوا من الافتراء lehrur 3yen d txidas

لقد نطق الرصاص وسمعته yenddeh u3bar teslidhas

يافرنسا فعدّي عدة الرحيل a franca jme3 lqqechim

وقد عبّر عن هذه الوجهة أيضا شاعر الثورة مفدي زكرياء ،يؤكّد فعالية النضال المسلّح ،وخذلان الوعود والخطب الرنانة قائلا:

نطق الرصاص،فما يباح كلام *** وجري القصاص فما يتاح ملام

د-الإشادة بالقبائل والأبطال:

---

[9] Y,Nacib,op,cit,p65 et p271.

[10] M.Mammri,Culture savante Culture vecue,p28

[11] ينظر، محمد جلاوي ،تطور الشعر القبائلي،ص 288

[12] ينظر، محمد جلاوي ،أشعار شعبية من قبائل جرجرة(قراءة نقدية في كتاب هانوطو)،دار النشر زرياب،الطباعة العصرية،الجزائر،2001،ص 11

إن الوحدة المولدة للبطولة الموحدة بين القبائل المتجاورة، ينشدها الشعراء ويهللون بها ، كلما امتثلت إليها القبائل المنضوية تحت الكونفدرالية الواحدة، والتحمت بموجبها الكونفدراليات المتعددة التي تتوزعها منطقة القبائل في إقليمها الشامل ، والمتعن في المادة الشعرية الخاصة بهذا الغرض، يجد أن العديد من النصوص الشعرية يتوجه فيها الشعراء بنداءات تنويهية من أجل توحيد الصفوف لتزويد المقاومة بوقود الثبات والاستمرار في مجال الاستبسال والإقدام والبطولة.ومن أمثلة الشعراء في ذلك:"محمد سعيد أوسيد" حين يتوجه بخطاب المناشدة لبني قاوة حاثا إياهم على ضرورة الوحدة الفعلية والفاعلة من أجل القضاء نهائيا على هذا الخطر الفرنسي المحدق بهم من كل صوب، ومن قوله:

اخفق جناحيك واعتلي εelli	**neqqel deg yifyi-k**
وسط الرحال وسط بني قاوة ttnaṣf-as	**agawa res deg**
استجمع الساحل بأهل الجبل ğbali	**jmeɛ-iten s ssaḥel u**
أهل البارود المفتول بالنقاوة aftatas	**ayt lbarud d**
ليوحدوا الرأي بينهم tadukkli	**ma day rnan**
ولتقدهم العزة والطاعة	**yeksa-ten nnif d ṭṭaɛa-s**

د. محمد جلاوي، تطور الشعر القبائلي،ص 352[13]